

## أفغانستان.. المرحلة القادمة

يوم الأربعاء ٩/٧/١٤٠٩ هـ الموافق ١٥/٢/١٩٨٩ م شهد خروج آخر عسكري روسي من الأراضي الأفغانية . أحد الألوية الذي قال وهو يعبر الحدود: إنه لن ينظر إلى الخلف . وصحيفة البرافدا الروسية تعلن في اليوم ذاته ولأول مرة أن تورط الروس في أفغانستان كان «غلطة» تمخض عنها أكثر من خمسين ألفاً من البشر الروسي ضحايا لهذه الحرب التي دامت أكثر من تسع سنين وأكثر من مليون من البشر الأفغان ضحايا وأكثر من أربعة ملايين من المشردين أو المهاجرين .

وخروج الروس قد لا يعني نهاية الحرب ، ولا يعني نهاية الجهاد فلا تزال أفغانستان تحكم على الطريقة الروسية رغم الحصار المستمر على العاصمة . قد يقال ، إن الجهاد قد علق أو أوقف ، ولكن الوقف أو التعليق إنما هو للجهاد الأصغر لبدأ الجهاد في إقامة دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسوله - عليه الصلاة والسلام .

وخروج الروس أيضا لا يعني تخليهم عن القضية عموماً وكأنهم يقولون ، لقد فشلنا في تحويل الشعب الأفغاني إلى الشيوعية وهما نحن نغادر معلنين فشلنا ، فلا بد أنهم قد تركوا أثراً أو آثاراً تعين على تحقيق شيء من الأهداف إن لم تتحقق كل الأهداف . ولعل من الأهداف ألا يقوم حكم إسلامي في أفغانستان فيعمد إلى تهديد السيادة الروسية بالجمهوريات الإسلامية الخاضعة تحت الحكم الروسي ، ويعمد إلى تمهيد الطريق إلى القدس الشريف من خلال عديد من الوسائل ومنها المحاولات القائمة الآن داخل الأرض المحتلة وخارجها .

ويدرك الروس أن انتصار الأفغان ليس انتصاراً للأفغان فحسب ، ولكنه انتصار للمسلمين الذين ناصروا الجهاد في أفغانستان وفي كل مكان . فإذا تم

النصر للأفغان فإنه سيكون نموذجًا قد يحتذى في محاولات جهادية تهدف إلى التخلص من السيادة الأجنبية عليها. ولذا فإنه من المهم للروس ألا يكون هناك انتصار للجهاد في أفغانستان، بمعنى ألا يكون لأطراف الجهاد في أفغانستان أثر في المرحلة القادمة من حكم البلاد، وليس بالضرورة أن يكون للشيوعية هذا الأثر، فالبدل مقبول لدى الروس ما دام سوف يحد من انتصار الجهاد.

وعليه فلا بد من إيجاد البديل من ناحية، ومن ناحية أخرى لا بد من إيجاد مشكلات في صفوف المجاهدين تشغلهم لفترة غير محدودة، وقد تصل إلى أن تقوم بينهم قائمة يسعى من خلالها إلى تقويض ما رسموه خلال السنوات التسع التي مرّت.

وخروج الروس من أفغانستان - مثل خروج الأمريكين من فيتنام - ترك وسيترك وراءه عقداً يصعب معها الوصول إلى الهدف، ما قبل الأفغانيون هذه العقد، وجعلوها نقطة ارتكاز للخلاف بينهم، وعجزوا عن إدراك أنهم قد استهدفوا من خلالها. ويهم الروس وغير الروس أن تتطور هذه العقد إلى حرب أهلية تأكل ما بقي من الرطب فيثبت للبعيد أن هذه الأزمة بحاجة إلى الوصاية عليها ما دامت غير قادرة على الوصاية على نفسها.

والكلمة السحرية في هذا المجال هي «الحكمة» فإن مارسها الرجال الأفغان وجعلوها منطلقاً في محادثاتهم ونقاشهم فسيعبرون مرحلة يتمنى الكثيرون ألا يعبروها. وإلا فسيستجيبون لما يحاك ضدّهم من قريب أو بعيد. وقد لا يكون الأمر بهذه الصورة التي وضعتها هذه الكلمات، وقد يكون المرء بسبب من انتمائه وحماسه لا يريد أن يسمع أو يرسخ مثل هذا المفهوم، ومع هذا فلا بد من التركيز والتذكير إلى أن هناك قويّاً يهمها عدم قيام هذا الكيان، ولن تتردد في أن تستغل أية وسيلة تعينها على ألا يقوم مثل هذا الكيان في

أفغانستان وفي غير أفغانستان . وهذا كلام يتردد كثيرًا ويحسن التذكير به والتأكيد عليه . وبعض الذين لم يقتنعوا به بعد يواجهون حوادث خاصة جدًا تجعلهم حقًا يؤمنون به ويتبنونه بعد أن كانوا يلتمسون الأدلة والبراهين عليه .

والمرحلة القادمة في أفغانستان أصعب بكثير من المرحلة التي مضت ، ومن خلالها ، ربما يرسم التصور القادم للحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذا الشعب القوي من خلال الإطار الإسلامي أو من خلال أطر أخرى ، كالشيوعية أو غيرها . وعلينا ألا نغفل ونحن نناقش مثل هذه الجوانب أن إرادة الله تعالى هي التي تحكم مصير هذه الأمة وغيرها من الأمم ، ولكنها الأسباب المطالب بها بنو البشر في سبيل تحقيق مناخ حياتي أفضل لهم ما داموا يعمرن هذه الأرض . وأي نقاش يعزل قدرة الله تعالى وإرادته ويترك الأمر في يد البشر وفي حدود إمكانيات البشر فهو نقاش تنقصه الموضوعية ، ويعتمد على التحليل المادي المستقى من تفسيرات لحوادث وحالات مضت وكان لها مصير لم يكن موفقًا عندما استطاعت كمرحلة أولى أن تتخلص من الاستعمار الفعلي ، لكنها استمرت في مشكلات خلفها الاستعمار الفعلي ، وهذا هو المتوقع من الروس ، ولكنها - مرة أخرى - الحكمة التي ستحدد الموقف مما خلفه الروس في أفغانستان ، أعان الله الأفغان في تخطي هذه المرحلة ، وكان الله في عون الجميع .